

خطـاب ذكرى ثورة الملك والشعب

وجه جلالـة الملك الحسن الثاني خطابا إلى الأمـة بمناسبة الذكرى التـاسعة والثلاثين لثورة الملك والشعب أعلن فيه عن مشروع مراجعة دستور المملكة.
وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه
شعبي العزيز.

عرف العالم في العقد المنصرم وما يزال يعيش الى اليوم احداثا بالغة الخطورة وتغيرات عميقة حولت مسيرته في وجهة الاستقرار على قيم جديدة في ظل نظام عالمي جديد.

ولا يمكن للمغرب ـ وهو معبر الحضارات وملتقى الثقافات ـ أن لا يهتم بهذه التطورات.

ومن هنا كان طبيعيـا أن نهتم بما يجري حولنا أن نرصـد ونتابع ونقيم ما يحققه المغـرب بقيادتنا من تقدم سعيد وما يطرأ عليه بتوجيهاتنا من تطور حميد.

ومن واجبنا ملكا وشعبـا أن نشكر للباري جل وعلا أن ألهمنـا السير على النهج القويـم والطريق المستقيم في التحام وانسجام وسعي موصول الوتيرة للحفاظ على نعمة الوئام.

ومن حقنا ان نشكـر هذه النعمة بالتحدث عنهـا ذلك أن بلادنا قطعت على درب التطـور شوطا طويـلا مشكلة بتطورها حـدثا بارز المعـالم ملحوظا في الـداخل وربما هو أكثر بروزا في الخارج. حـدثا سيمكننا ـ لا محالـة ـ من طي ما بقي من الأشواط ويكون لنـا بمثابة جواز مرور لأخذ مكـاننا المتميز في مسرح الاحداث على الصعيد العالمي.

بيد أن تطورنا الحميد هذا يظل ناقصا وغير مكتمل ما لم نقم أيضا بمجهود سياسي قانوني لصيانته وتعزيزه بالعمل على تكييف قوانيننا بمقتضاه وفي الطليعة بالطبع قانوننا الأساسي ـ او ميثاقنا الدستوري ـ تكييفا يجعلـه مواكبا لتطلعات شعبنـا المشروعة وقيم أمتنا الراسخـة طيلة تاريخنا العتيـد والتي نحرص على ان نطبع بها المغرب الجديد امتدادا طبيعيـا لما تميزنا به في سالف العصور وغابر الـدهور. لذلك كنا نفكر منذ مدة طويلة في ادخال تعـديلات على دستورنا منطلقين في ذلك من راسخ إيماننا بنضج شعبنا وأهليته لممارسة المشاركة في الحياة السياسية.

وذلك نفسه هو ما حدا بنا الى ان نوفر لشعبنا الوسائل الملائمة التي يسهم بها في صنع مصيره وهو نفسه مـا اثار عنـدنا دائما من هـاجس الاهتمام بتحصين رعايـانا الاوفيـاء من كل استبـداد وانحراف في السلوك السياسي مهما كان مصدرهما ومأتاهما.

لكن اهتمامنا الاساس ظل منصبا على ضرورة السير الى ابعد مدى على طـريق حماية حقوق رعايانا وصـون حريـاتهم والحفـاظ على كـرامتهم وعلى احكام عـرى التـوافق والانسجـام بين شروط الفعاليـة ومقتضيات دولة القانون التي يشخصها مغرب اليوم والتي نحرص على ان تظل ميزة المغرب وطابعه.

وفي هـذا السياق وانطـلاقا من هـذه المبادىء حـرصنا في مـراجعة الـدستور الـذي نعرضـه على مصادقتك ـ شعبي العزيز ـ ان نخول لحكومتنا استقلالا اكبر في الوقت الذي حرصنا فيه كذلك على ان

نـوسع اختصاصـات البرلمان ونقوى سلطـاته سـواء بالنسبـة للحكومـة او فيها يتصل بالاحترام الـلازم للقانون .

شعبي العزيز

قبل ان نتولى الولاية الكبرى ونتقلـد المسؤولية العظمى باعتلائنا عرش اجـدادنا المقدسين شاءت ارادة الله سبحانـه ـ وهو الفعال لما يريـد ـ ان تشركنا هذه الارادة الربـانية في اهم الاحداث التي طبعت ووجهت بلادنا وارادت كذلك ان يكـون لنا بجانب والدنا ـ قدس اللـه روحه ـ مساهمة جلى فيها خطط لبلادنا من تطـور وما ارساه لها من دعائم النهضة التـي تفيانا ظلالها الوارفـة بفضل عطائه . كما شاءت الارادة الالهية ان تلهمنا ـ منذ نعومة اظفارنـا ـ حبا لشعبنا رسخت الاعوام والسنون جذوره في قلبنا ذلك الحب الذي قاد دائما خطواتنا ووجه ارادتنا في وجهة العمل الصالح لخير شعبنا وتطويره .

ان الخطوة الكبرى التي نخطـوها اليوم بعرض مشروع مراجعـة الدستور عليك ـ شعبـي العزيز ـ لتنبثق من هذه الروح وتنطلق من نفس هذه الارادة ونفس ذلك الحب .

ان المغرب الغيـور على هويته المتشبث بمقومـات شخصيته الذي تترسخ جـذوره في اعماق تاريخ ممتد اكثر من الف سنة يحقق اليـوم بالمشروع المعروض عليك تقدما جديدا على طـريق الديمقراطية وفي وجهة المعاصرة .

فلنحمد الله ـ شعبي العزيز ـ ان مكننا من ذلك في ظل نعمة الاستقرار التي اسبغها علينا ونسأله سبحانه دوامها ولنستشرف افاق المستقبل بايمان متين وعزم لا يكل ولا يلين . انه سبحانه وتعالى لم يخيب لنا قط املا لانه هو الذي لا يضيع اجر من احسن عملا .

شعبي العزيز

اردت أن أقرأ هذا الخطاب المكتوب ليكون بمثابة الديباجة ـ كما تعلم شعبي العزيز ـ في القوانين هي التي تترجم ارادة المشرع وتعطي الملامح بل اكثـر من الملامح الاضـواء لاعماق تفكيره وعمق تحليلـه وخالص ارادته .

شعبي العزيز

تعلم انني اقدر الامانة الملقاة على عاتقي . اقـدرها تقديرا لاينحصر في شخصي بل يرجع الى ازيد من الف سنة . لـذلك اعتبر ان حدبي عليك والـدفاع عنك والحفاظ على سـلامتك والسعي لاسعادك ليس كل هذا منوط بعبد ربه الحسن الثاني بل الحسن الثاني في عنقه كذلك الامانة . . امانة الذين سبقوه وتعاقبوا على هـذا العرش الذي لم يكن منذ البداية عـرشا ماديا فحسب بل كان دائما عـرشا في القلوب وفي النفوس . وكلما خاطبتك ـــ شعبي العزيز ـ لادفع بك الى خطـوة تخطوها او غزوة سلميـة تغزوها او عمل جديد تميز به شخصيتك وعبقريتك كلما دعوتك الى مثل هـذا كان الدافع العقلاني والوجداني هو المحبة فيك بل الغـرام بك بل اكثر من هذا وذاك واستسمح الله الـوثنية لوطني ووطنك . وها انـا اليوم ادعوك اولا الى الاطلاع على مشروع هذا الـدستور. وبعد الاطلاع عليه ان تقارن بينـه وبين ما سبقه من الدسـاتير. وبعد المقارنة الـداخلية ادعوك ان تقارن بين دستـورنا الجديد المراجع والدسـاتير الاخرى في العالم كان عربيا او غير عربي كان شرقيا او غربيا وان تقول رأيك فيه . وبالطبع انت حر ان تقول نعم او تقـول لا. ولكن انتظر منك ان تقـول نعم لانك تـرى وسـوف ترى ان هـذا الـدستور مبني على اثـاف ثلاث .

أولا : إعطاء الحكومة مسؤوليات اكثر حتى يمكنها عند الامتحان ان تعز او تهان.

ثانيا : إعطاء منتخبيك الوسيلة القانونية والموضوعية لمراقبة الحكومة وتشجيعها على السير او الطلب منها ان تتوقف عن العمل.

أما الركن الثالث، ورغم هذا كله فقد بقي خديمك وملكك ساهرا على سير هذا كله لتسير الدواليب بكيفية متوازية ومرضية لا تطاحن فيها ولا اعوجاج ولا انحراف. وان تفويضي لبعض السلط للحكومة او البرلمان ليس تفويتا. فانا سأبقى خادمك والساهر بالليل والنهار على شؤونك.

ولكن أعتبر أن الوقت قد حان لإعطاء الفرص الكاملة حتى نبرز بهذا الدستور من منتخبيك الثلة والجماعة التي ستبرز مزاياك شعبي العزيز وستبرز القوة الفكرية والخلاقة للشعب المغربي طبقا لتاريخه وأصالته. ولم اكن لاختار يوما أحسن من هذا ولا اجل من هذا ولا اكثر تقريبا بيني وبينك احسن من هذا الا وهو يوم ثورة الملك والشعب.

ولكن لنقف دقيقة واحدة عند لفظ الثورة، أي ثورة الملك والشعب. فالثورة المشتركة ليست شيئا يأتي عفويا وليست حدثا تاريخيا بل قبل أن تكون الثورة المشتركة يجب ان تكون المسيرة المشتركة. والمسيرة ليست بقدم وقدم ولا بذراع وذراع ولا بخطوة وخطوات. إن المسيرة في مفهوم التاريخ وقاموس التاريخ تقتضي القرون والقرون حتى تسمى مسيرة. فلو لم تكن مسيرة الشعب والعرش مسيرة تاريخية حتى جبلية عندنا لما تمكنا في القرن الذي نحن فيه من أن نقوم بثورة الملك والشعب. وهذا ولله الحمد ما يجعلني اقول ان المغرب رغم تراكم الاسر الملكية كأنه سلسلة ذهبية لا فرق بين أدارستها وعلوييها وما توسطهما.

الكل أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل حياته وجهده وجهاده وقفا على بلده كيفما كانت التضحية وكيفما كان الثمن الذي يجب أن يدفعه.

فلهذا شعبي العزيز فإن ثورة الملك والشعب ليست حدث 20 غشت 1953 بل هي الثمرة التي أراد الله سبحانه وتعالى ان يهديها الى والدي ووالدك محمد الخامس. فقد أراد الله سبحانه وتعالى ان يميزه بها كما أراد أن يجعل خديمك هذا من مشاهديها ومن صانعيها المتواضعين. فلنحمد الله ولأحمد الله سبحانه وتعالى على أن اصطفى أبي رحمة الله عليه ليكون ذلك المجسم للمسيرة المغربية التاريخية الذي التف حوله الشعب في يوم من الأيام فأصبحنا معا ملكا وشعبا صانعي ثورة الملك والشعب.

وانطلاقا من هذا أريد بعد الثورة أن نستثمر المسيرة. . مسيرة الملك والشعب نحو هدف واحد وفي وقت واحد وبإرادة موحدة. فلا أنا أرغمتك على قبول شيء ولا انت انتزعت مني شيئا. بل كنت دائما كالذي يحاول ان يقرأ في عينيك وعلى ملامحك ما تتطلع اليه مسارعا كلما أمكن ذلك الى ارضائك وارضاء خاطرك.

وها نحن سندخل هذه التجربة واعتقد انها ستكون تجربة ناجحة ان شاء الله. لذلك شعبي العزيز ارجو منك ان تقول نعم لهذا الدستور.

علما منك أنني انزهك عن البهلوانيات السياسية المحترفة وانزهك بل على نفسي وعلى شخصي وعلى أسرتي الصغيرة انت الذي تكون اسرتي الكبيرة.

ولا يمكن أن نتكلم عن الشعب المغربي بمناسبة ثورة الملك والشعب دون أن أنوه بكيفية خاصة بالمرأة المغربية والزوجة المغربية والام المغربية والبنت المغربية لأنني أعلم ما حملته من عبء ومن مسؤولية

في هـذه الثـورة وفي انجـاح هذه الثـورة . . ولـذا اتـوجـه اليهـا لأقـول لها إنني أسمع واستمع فبحثت وتباحثت . أسمع أنك تشتكين من المدونة او من تطبيق المدونة . فـاعلمي بنتي العزيزة المرأة المغربية أن المدونة هي قبل كل شيء في عنقي وأنـا المتحمل مسؤولية المدونـة او عدم تطبيق المدونة . فـارجعي هذا الأمر إلي إياك ثم إيـاك في الحملة الاستفتائية أو الحمـلات الانتخابية التي ستتلو هـذه الحملة إياكم ثم إياكم الخلط بين ما يتعلـق بدينك وبين ما يتعلق بدنياك والسيـاسة . لقد بقي المغرب ــ ولله الحمد ـ وسيبقى دائما بعيدا عـن هذا الخلط الخطير الذي نحس بـه قريبـا منا وفي العـالم الإسلامي . فـابتعدي وليبتعد الـرجال السياسيـون والخطباء في الحملات الانتخـابية عن هذا الموضـوع فهو بمثابـة البارود أو القنبلة التي من شـأنها ان تزعزع اتـزان وتوازن المجتمع المغـربي . وارجعي الي فكاتبيني ايتهـا الجمعيات النسـويـة وأرسلن الي عبر الـديـوان الملكي مـلاحظا تكـن ومؤاخـذا تكن ومـا تـرينـه مضرا بحـالكن واستقبـالكن . واعلمن أن ملك المغـرب الذي هـو في آن واحـد أمير المؤمنين له الصـلاحيـة لأن يطبق ويفسر آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم حين قـال الله سبحانه وتعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» فأنا أعلـم رواسخ الدين كما اعلم أين يجب الاجتهاد في الـدين . فإياكن ثم إياكن ان تخلطن هـذا بذاك . كاتبنني عبر الديـوان الملكي فنحن مستعدون لان نلتقي ونجتمع بكن وان نرد الامور الى مجراها .

هناك فعـلا ثغرات أو تطبيق غير صـالح للمدونة وهنـاك حيف وظلم ولكن دعونـا نصلح الامر خارج السـاحة السياسيـة حتى لا نصبح ربما في تيارات لم تجد محلها عندنـا ولن تجد ابدا محلها عنـدنا . وفي اقـرب وقت وليس بـالضرورة حتى تنتهي الانتخـابات بـل يمكن في غضون شهـر شتنبر الـذي لا تفصلنا عنـه إلا عشرة أيام ــ إذا كاتبتنني ـ التقي بـالعلماء واتذاكـر معهم بحيث لا يمكن أن يحل هذا المشكل الا عبد ربه لانه هو امير المؤمنين .

واياكن ان تظنن ان علماء المغرب متزمتون . فابتعدن عن هذا الخلط جزاكن الله خيرا وحفظكن .

ولنرجع الى ما كنا بصدده ـ شعبي العزيز ـ .

بعد قليل سيعـرض عليك المشروع الجديد . وأنا مطمئن لأني حينما وضعته حـاولت أن أخرج من جسـدي هـذا وان تملأ روحي وحبـي وفكـري 26 مليــون من الاجسـاد . فهــذا ليس بمستحيل لأن الروحـانيات ليس لها ذلك التكييف المادي الذي يخضع للمتر المكعب او الكيلـوغرام . فارجـوك وأريد منك وانتظر منك شعبي العزيز أن تنظـر إلى هذا المشروع وتحلله . ولي اليقين انك ستصوت بنعم لانك ستكون فخورا بان تعيش في ظل هذا الدستور.

«وقل رب ادخلني مـدخل صدق واخـرجني مخرج صـدق واجعل لي من لـدنك سلطانـا نصيرا»
صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله .

20صفر الخير 1413هـ الموافق 20غشت 1992م